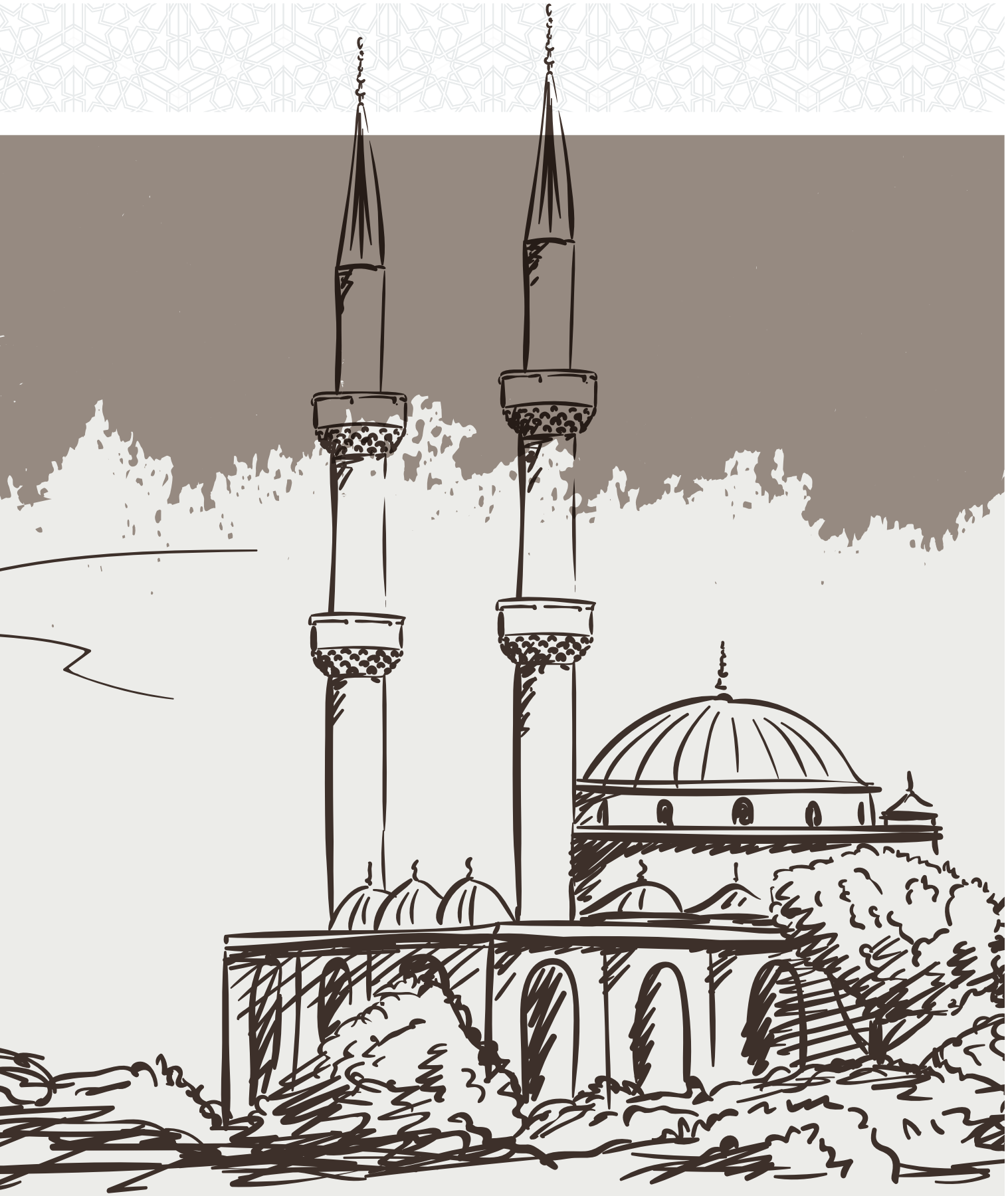

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الكَعْبِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

١ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ،

٢ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ،

٣ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(٣٥٧).

(٣٥٧) رواه البخاريُّ (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨).

آيات

- ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].
- ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].
- ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧].

الراوي

هو: أبو شُرَيْحٍ الكَعْبِيُّ ﷺ، صحابيٌّ جليل، مشهور بكُنْيَته، واختُلِف في اسمه، فقيل: اسمُه كعبُ بنُ عمرٍو، وقيل: عمرُو بنُ خُوَيْلِدٍ، والأصحُّ: خُويلدُ بنُ عمرِو بنِ صخرِ بنِ عبدِ العزَّى، كان من عقلاء الرجال، أَسلَم قبل فتح مكَّةَ، وكان يَحمِل أحد ألوية بني كعبِ بنِ خُزاعةَ يومَ فتحِ مكَّةَ، ثم نزل المدينة، وتوفِّي بها سنةَ ثمانٍ وستِّين من الهجرة(١).

خلاصة

يحث النبيُّ ﷺ المؤمنين على الإحسان إلى الجار، وعلى إكرام الضيف؛ فيتخير له في اليوم الأول أطيب الطعام، ثم يأكل من طعام أهل البيت بعد ذلك، كما يحضُّ كذلك على حفظ اللسان، فلا يتكلم المؤمن إلا بخير.

(١) يراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/ ٩٦٠)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٢/ ٤٥٥)، «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٦/ ١٦٠)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٧/ ١٧٣).

١ يخبر النبيُّ ﷺ عن بعضِ خصال الخير، فيذكر منها إكرامَ الجارِ، فالمؤمنُ مطالبٌ بإكرام جارِه وحفظِ حقوقه، فيتعاهده بالبرِّ والخير، ويتفقَّدُ حالَه، ويلاطفه في القول، ويعاونه فيما يحتاج، ولا يؤذيه بقولٍ أو فعلٍ.

ولهذا أوصى اللهُ سبحانَه بالإحسانِ إلى الجار، قال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]، ونزل جبريل مرارًا على النبيِّ ﷺ يُوصيه بجارِه، قال ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(٣٥٨).

وقد أقسم ﷺ على نقصِ إيمان مَن آذى جارَه، قال ﷺ: «وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»(٣٥٩).

٢ كما ذكر أيضًا إكرامَ الضيفِ، وجعله من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر، وقد أخبر ﷺ أنَّ هَدِيَّةَ المُضَيِّف لضيفه وعَطِيَّتَه له أن يُكرمه ويجودَ عليه بأطيب الطعام والفراش في يومِه وليلته، ثم بعد ذلك يُطعمه مِمَّا يأكل من غير تَكَلُّفٍ، وتمام الضيافةِ ثلاثةُ أيام، فإن أحبَّ المُضَيِّفُ أن يُقيم الضيفُ عنده بعدَ ذلك فهو صدقةٌ وتَفَضُّلٌ منه، ولا لَوْمَ عليه إن لم يفعل؛ فقد أدَّى ما عليه بإكرامِه إلى ثلاثة أيام.

وإنَّما جعل ﷺ للضيفِ جائزةً في أولِ يومٍ وليلةٍ لما حصل له من التعب والمشقَّة في سَفَرِه، فيرتاح بذلك، ويأنس إلى مُضَيِّفِه، فتشتدُّ أواصرُ المحبة والتوادِّ بين المسلمين، فإذا حَصَل ذلك لم يَتَكَلَّفِ المُضَيِّفُ بعدُ، وإنَّما يُطعمُه ممَّا يجد.

٣ ثم ذكر ﷺ الخصلة الثالثة، وهي أنَّ المؤمن عليه أن ينظر في كلامِه الذي يُريد أن يتكلم به؛ فإن وجده خيرًا أو سبيلًا إلى خيرٍ قالَه، وإن وجده غيرَ ذلك سَكَتَ؛ فإنَّ السكوتَ غنيمةٌ إذا كان الكلامُ فيه معصيةٌ أو مفضيًا إلى معصية، والمرءُ مُحاسَبٌ على كلِّ ما يتلفَّظُ به، قال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨]، و«إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(٣٦٠).

وهذا الحديثُ من جوامع أبواب الخير، حتى إنَّ أهلَ العلم ذكروا أنَّ الآداب الإسلامية تدور حول أربعة أحاديث؛ هذا الحديث، وحديث: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وقوله ﷺ للذي اختصر له الوصية: «لا تغضب»، وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه»»(٣٦١).

---

(٣٥٨) رواه البخاريُّ (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣٥٩) رواه البخاري (٦٠١٦).

(٣٦٠) رواه البخاريُّ (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٣٦١) ينظر: «شرح النوويِّ على مسلم» (٢/ ١٩).

١ (١) من علامات استقرارِ الإيمان وزيادته في قلب العبد المؤمن أن يُكرم جارَه ولا يؤذيَه. ففَتِّش عن تلك الأمارةِ في نفسك.

٢ (١) إياك أن تؤذيَ جارَك فتُحرم دخول الجنة؛ فقد قال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[٣٦٢].

٣ (١) كُلَّما كان الجارُ أقربَ بابًا كان آكدَ حقًّا، وأولى بالإكرامِ. فينبغي على الجار أن يحفظ حقوقَ جارِه، فلا يتطلع إلى عوراته، بل يتعاهده بالهدايا والدعوة، ويلاطفه بالقول والفعل.

٤ (١) ليس حسنُ الجوارِ مقتصرًا على إكرامِ الجارِ فحسب، بل كذلك أن تتحمَّلَ منه الأذى غير المتعمد، قال الحسن البصري رحمه الله: «ليس حُسْنُ الجِوار كفَّ الأذى، ولكنْ حُسْنُ الجوار احتمالُ الأذى»[٣٦٣].

٥ (٢) إكرامُ الضيف من الإيمان باللهِ تعالى، والاقتداءُ بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام؛ فقد وصف القرآنُ كرمَ خليل الرحمن إبراهيم ﷺ، وكان نبيُّنا محمد ﷺ كريمًا جوادًا، أجودَ بالخير من الرِّيح المرسلة، ولهذا قال عبدُ الله بن عمرو رضي الله عنهما: من لم يُضِفْ، فليس من محمّد، ولا من إبراهيمَ[٣٦٤].

٦ (٢) على المسلم أن يتصف بإكرام الضَّيف، وألَّا يردَّ نازلًا نزل به إن وجد خيرًا، وألَّا يقتصر ذلك منه على مَن يعرِف دون مَن لا يعرف؛ وقد نزل أبو هريرة رضي الله عنه على قومٍ لا يعرفونه، فأَبَوا أن يُضَيِّفوه، ثم إنَّه أتى بطعامٍ فدعاهم إليه فأَبَوا أن يأكلوا معه، فقال لهم: لا تُنزلون الضَّيف ولا تُجيبون الدّعوة! ما أنتم من الإسلام على شيء. فعَرَفه رجلٌ منهم، فقال له: انزل عافاك اللّه، فقال رضي الله عنه: هذا شرٌّ وشرٌّ، لا تُنزلون إلَّا من تعرفون؟![٣٦٥].

٧ (٣) ينبغي على المسلم أن يتعاهد كلامَه، فلا يُطلق لسانَه فيما حلَّ وحرُم، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كَثُر كلامه، كثر سَقْطه، ومن كَثُر سقطه، كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه، كانت النّار أولى به»[٣٦٦].

---

(٣٦٢) رواه مسلم (٤٦).

(٣٦٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبليِّ (١/ ٣٥٣).

(٣٦٤) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٥٦).

(٣٦٥) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٥٦).

(٣٦٦) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٣٩).

٨ (٣) قال محمّدُ بنُ عجلانَ رحمه الله: «إنّما الكلام أربعة: أن تَذكُر اللّه، وتقرأ القرآن، وتُسأل عن علم فتُخبر به، أو تَكلَّم فيما يَعنِيك من أمر دنياك»[٣٦٧].

٩ (٣) قال رجل لسلمانَ ﷺ: «أوصني، قال: لا تَكَلَّمْ، قال: ما يستطيع من عاش في النّاس أن لا يتكلَّم، قال: فإن تكلَّمتَ، فتكلَّمْ بحقٍّ أو اسكُتْ»[٣٦٨].

١٠ (٣) كان أبو بكر الصّدّيق ﷺ يأخذ بلسانه ويقول: «هذا أَوْرَدني الموارد»[٣٦٩].

١١ (٣) قال ابن مسعود ﷺ: «واللّه الّذي لا إله إلّا هو، ما على الأرض أحقُّ بطول سجن من اللّسان»[٣٧٠].

١٢ (٣) احفظ لسانَك تدخل الجنة؛ قال ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»[٣٧١].

(٣٦٧) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٤٠).

(٣٦٨) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٤٠).

(٣٦٩) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٤٠).

(٣٧٠) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٤٠).

(٣٧١) رواه البخاري (٦٤٧٤).